مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 11 / العدد: 02 (2023)، ص: 27- 51

صُنافة اللسانيات النفسية في علوم اللِّسان وأبعادها الابستمولوجية

The taxonomy of psycholinguistics in Language sciences and its epistemological dimensions

أ. د. يوسف مقران[1]

[1]المركز الجامعي مرسلي عبد الله . تيبازة، mokrane.youcef@cu-tipaza.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/19 تاريخ القبول: 2023/05/25 تاريخ النشر: 2023/06/4

ملخص:

يُسلِّط هذا المقال الضوء على أهمِّ إمكانيات تصنيف اللسانيات النفسية التي يمكن النظر إليها في شبه علاقة جدلية وتكاملية مع غيرها من الفروع اللسانية وغير اللسانية، بما أنها تتمفصل على مجالين هما: اللسانيات والنفسيات. لهذا نقترح تصنيفها في علوم اللسان، مع أن الطابع التطبيقي الذي تنطبِع به يُمكِّن مِن وضعها في خانة اللسانيات التطبيقية. نستعمل هنا تسميّة (علوم اللسان) آنياً لأنه . وكما شرحناه في طيات المقال، هناك من فنّد وجدها واعتبرها بدعة. بهذه الطريقة تنطرح إشكالية الصُنافة التي تعالجها الورقة من خلال استعراض " أبعادها الابستمولوجية " التي فعَّلناها بشكل ينمّ عن الجدّة في المقاربة، ولاسيما حينما نناقش التجاذُبات والتنافُرات بين أطراف الثنائية (اللسانيات النفسية في علوم اللِّسان).

الكلمات المفاتيح: اللسانيات النفسية؛ علوم اللسان؛ الصنافة؛ اللسانيات التطبيقية، الأبعاد الابستمولوجية.

Abstract:

This article highlights the importance of categorizing psycholinguistics, which can be seen in a semi-dialectical and complementary relationship with other linguistic and non-linguistic branches, since it articulates two fields: linguistic and

psychic. For this, we propose to classify it in the sciences of language. This type of Linguistics, with its applied character, has been placed in the category of applied linguistics. Here, we simultaneously use the name "Sciences of Language" because, as we have explained over time, there are those who have refuted it and considered it heresy. Thus, the problem of taxonomy, which is approached here, is presented by considering its "epistemological dimensions", in particular when one approaches the interactions and the dissonances of dualism (Psycholinguistics in the sciences of language).

Keywords: Psycholinguistics; Sciences of Language; Taxonomy; Applied linguistics; Epistemological Dimensions.

المؤلف المرسل: أ. د. يوسف مقران

1. مقدمة:

ظهرت فروعٌ متعدِّد الاختصاصات ومتداخل المواد العلميّة تلتقي كلّها عند اللِّسانيات مَدعوة بحسب الاختصاص الذي دُفِعت إليه هذه الأخيرة . أو بالأحرى استُنجِد بخدماتها . كـ: اللِّسانيات العصبيّة (**Neurolinguistique**) واللِّسانيات الإكلينيكيّة (**Linguistique clinique**)، واللِّسانيات البيولوجية (**Linguistique biolinguistique**)، واللِّسانيات النفسيّة (**Psycholinguistique**)، واللِّسانيات الاجتماعيّة (**Sociolinguistique**) وكذا اللِّسانيات الحاسوبية (**Linguistique informatique**). وقد رافق ذلك انقلابٌ في المفاهيم وآخرٌ في التسميات -**Térence Macnamee, 1984, p.91 98**).). أمّا اللّسانيات التطبيقيّة فقد أسنِد إليها العديدُ من التعريفات، وذلك حسب الموقِع الذي تشغله ضمن تشكيلة المعارف البشريّة وفي كنف انشغالات الناس المتفاوتة؛ فاعتبِرت أوّلاً كخادِمة مجالات معرفيّة أخرى، مثل علم النفس والبيداغوجيا، وعلم الاجتماع والفيزيولوجيا؛ إذ انتقلت عبرَ اللّسانيات التطبيقيّة .

وفي ضوء تشعُّب المشارب المعرفيّة . معطياتٌ لسانيّة اقترنت بمعطيات سيكولوجيّة التعلّم وتناسبت مع طرائق التعليم الخاصّة (**Denis Girard, 1972, p.23-24**). وقد تكون اللّسانيات التطبيقيّة حلقة وصل بين عدّة فروع لسانيّة أو مدعِّمة لفروعٍ علميّة أخرى تسير في مدار اللّسانيات لكونها يُتداوَل فيها شؤون اللّغة (**Dominique Maingueneau, 1996, p.57**).

وفي هذا يقول محيي الدين محسب وهو يرسم مخطَّط هذا الانقلاب مِن نقطة بدايته: « لقد أصبح البحث في اللّغة في العصر الحديث يحتلّ مكاناً مرموقاً في دائرة اهتمام الفكر والعلم. ومن ثمّ تداخلت عدّة علومٍ وتضافرت في سبيل الكشف عن جوانب تلك الظّاهِرة المتفرّدة: ظاهِرة اللّغة. ومِن الواضِح أنّ نظرة متعمِّقة إلى الخطوط العامّة في هذا السياق المعرفي تكشف عن مؤشِّراتٍ واضِحةٍ لمركزيّة اللِّسانيات وتفاعلاتها التي تنضوي تحت ما شهده النصف الثاني من القرن العشرين مِن ظهور موجة معرفيّة أطلِق عليها موجة (العلوم المتداخلة الاختصاصات) [...] في قلب هذا الميل إلى التكامل كانت اللّغة هي البؤرة الجاذِبة؛ وذلك بسبب الإدراك الحديث لمركزيّتها في تشكيل تلك الظّاهِرة التي تسمَّى (الإنسان). ومِن ثمّ انخرط علماء الاجتماع في دِراسة الطبيعة الاجتماعيّة للّغة، ولدورِها في قيام مجتمع ما، أو جماعة ما، وفي تحديد أنماط علاقات الفاعِلين الاجتماعِيّين. وبدأ علماء النفس تُشغلهم زاوية تأثير اللّغة على مجمل مظاهر التّنظيم السّلوكي، والعمليات النفسيّة المختلِفة كالإدراك والتفكير والذاكِرة [...] وكان لتآزر اللِّسانيات مع العلوم الأخرى أثرٌ كبيرٌ في تشكيل نظريّة اللّغة وتمحيص مفاهيمها. وعلى سبيل المثال فقد كان مِن نتيجة هذا التآزر نشوء هذا التداخل الاختصاصي الماثِل في علومٍ مثل: اللِّسانيات البيولوجية **biolinguistics**، أو اللِّسانيات العصبيّة **neurolinguistics** أو اللِّسانيات الإكلينيكيّة **clinical linguistics**، أو اللِّسانيات النفسيّة **psycholinguistics**. وربّما كان سوق

التعريفات التي يقدِّمها ديفيد كريستال لهذه المصطلحات في قاموسه (اللِّسانيات والصوتيات) ملائماً لإعطاء فكرة أوّلية عن طبيعة الاشتِغال المعرفي الذي تنطوي عليه تلك العلوم » (محيي الدين محسب، 2009، ص228 ـ 229). وكان هذا بعضُ جوابه على سؤال المُحاوِريْن: « لقد أشار العالم الأنثروبولوجي كلود ليفي ستراوس إلى أنّ اللِّسانيات بفضل توجّهها العِلمي ستصبح جسراً تَعبُره كلُّ العلوم الإنسانيّة الأخرى إن هي أرادت أن تُحقِّق نصيباً مِن العِلم. ولا أحدَ اليوم يستطيع أن يشكِّك في تحقّق هذه النبوءة، ما الذي يجعل اللِّسانيات تشغل صدارة العلوم الإنسانيّة وتستأثِر بكلِّ هذا الاهتمام ؟ ». وقد طرح هذا السؤالَ ذاتَه ـ في ثنايا هذا الكتاب ـ على تسعة عشر عالِم لساني عربي وكانت أجوبتُهم مختلفة ومتنوِّعة ومثيرة في نفس الوقت. اعتمد الكاتبان أسلوباً مرناً يعكس معايشتهما اليومية للوقائع اللغوية التي يستمدانها من المسموعات والمرويات وتحديداً من أفواه الرواة اللغويين مباشرة.

وهذا التداخل في الاختصاصات التي استقطبتها اللِّسانيات ـ فاجتمعت كلّها تحت لوائها ـ يفرض شيوع الظّاهِرة المسمّاة انتقال المفاهيم مِن مجالٍ إلى آخر. لكنّها تستدعي ـ مِن جهةٍ أخرى ـ حصول المعرفة بكلِّ المجالات التي يتمّ انتقال المفاهيم بينها والاطّلاع على المشروع الذي يوازيها والمكوَّن مِن التّطبيقات الممكِنة (**François Rastier, 1991, p.205-212**). هذا ما كشفت عنه كذلك ليلى المسعودي حينما رصدت انتقال المفاهيم ومعها التسميات بين مجاليْ الطبّ والصوتيات؛ فأجابت عن جملة مِن أسئلة كانت قد أحسنت طرحَها، على غرار: « ـ كيف يُستخدم المصطلح العلمي في غير مجاله ؟ وهل يُنقل المصطلح معنىً ومبنىً ؟ هل يُحتفظ به دليلاً ومفهوماً في هذا الاستعمال؟ هل يطرأ عليه تغيير في هذا الانتقال ؟ وهل توجد مصطلحات أخرى تنافسه في المجال المنقول إليه ؟ وألا يحدث هذا الانتقال بلبلة واضطراباً في الاتّساق الداخلي والتَّماسك المفهومي

للشبكة المفاهيميّة من حيث تقطيعها و تسلسلها التّراتبي. وهل في هذا الانتقال إغناء وإثراء المصطلح أو إنّه تفقيرٌ وتقليصٌ وأحياناً تحوير لِمفهومه ؟ » (ليلى المسعودي، 1997، ص34 . 39).

والحال إنّه كثيراً ما لوحِظ أنّ قسماً ما مِن التسميات . وما يُزعَم من المفاهيم التي تدلّ عليها . لا تمثِّل إلاّ مرحلة عابِرة في تاريخ اللِّسانيات، قد تكون اختباريّة أو بالأحرى انتقاليّة، كما هي الدّراسات التي كانت سنداً لها وما تكون قد انفتحت عليه من العلوم الأخرى: فبالتالي يبقى مِن الغرور أن يتمّ ربط مصير علمٍ بكامله بما لا يمكِن إلاّ أن يُصنَّف في عداد حدَث الدراسات الحادِثة في المرحلة الانتقاليّة. ثم تبقى أمامنا صعوبة أخرى وهي أهمّ الصعاب والمتمثلة في التطوّر الدّلالي للمصطلح. فقد يستعمل المصطلح لفترة ونتيجة التغيرات التي تحصل للعلم والظروف المحيطة به ومجموعة المؤثرات التي قد تمتدّ إلى موت المصطلح وانقراضه أو استبداله بمصطلح آخر أو إلى تغيير دلالته التي كانت عليها. أما قضية موت المصطلح فلا تمثِّل خطراً كبيراً إذ أنّ ميلاد مصطلح وموت آخر دليل على قدرة الأول على التعبير الكامل على الدلالة المُرادة وانقراض الثاني دليل على عدم وفائه بالدلالة المرجوة منه.

1 بدعة علوم اللِّسان

مِثلما وُجِد مَن استأنس بتفريع اللِّسانيات إلى فروعٍ واستحسنه وُجِد مَن استخفّ ببدعة (علوم) اللّسان (بصيغة الجمع)، التي تَصدُر عنها تلك الفروع أو ما صار يُسمّى عن جدارة في ظرف إنشاء تكوينٍ جامعيٍ بـ (**Les sciences du langage**). فهذا أنطوان كيليُولي يصف فروعًا مثل (اللّسانيات النفسيّة) و(اللّسانيات الاجتماعيّة) وحتّى (فلسفة اللّغة) وكذلك (تحليل الخِطاب) بما ينبغي أن « يُعمَد إلى إفاضته في قاع كيس علوم اللّسان » (**Antoine Culioli, 1990, p.10**). وصدَر هذا الحكمُ عن عالِمٍ كرَّسَ بحثَه اللّساني لأحداث لِسانيّة خارِجة

عن المألوف وكان باعِث مَشروع لِساني أسماه لسانيات التلفّظ في حقبة تألّقت فيها البنويّة. وإن كان من المطمورين لكونه حاضَر أكثر مما نشَر (عبد القادر الفاسي الفهري، 1985، ص.62: الهامش رقم 36)؛ وهذا ليس السبب الوحيد، ذلك أنّ إذا اكتفينا بمثال نظريّته الموسومة **Théorie des Opérations Énonciatives (et Prédicatives)**، فهي قليلة الترجمة حتى إلى الإنجليزية التي تكرّس (المعرِفة العارِفة عالمياً). وهذا المصطلح يعتبر مقابلاً عربياً لـ (**Savoir savant**) المصاغ على مقاس (**culture cultivée**) أي (الثقافة العارِفة) التي هي الأدب والموسيقى والفنّ التشكيلي، الخ، أي كافّة ما يمكِن أن يُجمَع، منذ التقليد الذي أرساه بيير بورديو **P. Bourdieu**، تحت تسمية **culture cultivée** لكن الثقافة تشمل كذلك طرق المعيشة وأنماط السلوك كلّها، التي تُحشَر في اسم الثقافة الانتروبولوجية **culture anthropologique**. كما توحي كلمته الداعِية إلى إسناد لعلم الاجتماع مهمّة التمكين بالعدّة (السلاح) بدل أن يُصدح بدروسه التي قليلاً ما تبلغ الآذان فما بالك بأن يؤتمَر بها أو يُنتَهى (**Pierre Bourdieu, 1993, p.95**).

ويسمي (جاليسون) النّوع الثّاني (**Culture courante**) أيضاً أو (**Culture partagée**) ويصفها « بالثقافة المشتركة التي طالما ميّزها التستّر، وأخذت اليوم تتبدّى ويُسفَر عنها وتكتسِح حيّزاً شاسِعاً في أرضيّة التعليميات ». ويطلِق على النوع الأوّل اسم (**Culture savante**)، التي يصفها بأنّها «أرستقراطية ولا تزال تتفيّأ باللّغة ». نحيل هنا على مداخلةٍ له ألقاها بمناسبة ملتقى حول « استِعمالات التكنولوجيات الحديثة في تعليم اللّغات الأجنبيّة » في 28 . 30 مارس 2002، حيث يعود إلى هذه المصطلحات (**Robert Galisson, 2004, p.143**). وما ذلك إلاّ لكون صاحبها (أنطوان كيليُولي) قد عمد إلى بلورتها في اللّغة الفِرنسيّة بمصطلحيّة خاصّة لا تُترجَم إلى تلكم اللّغة بدون عناء ومن غير

التسبّب في مشكِلاتٍ عويصة. ومع ذلك لم يسمح لنفسه أن يَبتَدع تسميةً جديدةً زائدةً على السَّائِد في العلم الذي عمل في إطاره. إذ اكتفى بأن حدّد مرّة أخرى موضوع (لسانياته) بالقول: لسانيات التلفُّظ، فأسقط ما عهده الناسُ من اللسانيات على الأمر القديم الجديد وهو (التلفُّظ)، بعدما ألحّ على زاوية الاستِشراف تحفّظاً بكلمة (**Pour** = نحو) مِن باب إطلاق المَشروع.

إذا أنعمنا النظر في السلسلة التي تكفّلت بجمع هذا العمل وإصداره وهي **Coll. L'homme dans la langue** التي تُشرِف عليها (**Janine Bouscaren**) سنفهم الإطار الذي أقحم فيه الباحِثُ نفسَه، لعلّه مقتبَس من عنوانٍ فرعيٍّ وهو ما بحث فيه إميل بنفنيست وخصّص فصلاً حول هذا الإنسان ولغته أو في لغته، تضمّن عدّة مقالاتٍ كما عبّر عنه (**Emile Benveniste, 1974, p.197-280**). وباختلاف الأسباب، قد دعا عبد الرحمن الحاج صالح . في كلِمةٍ ضمّنها خطاباً (رسالة) . إلى التحفّظ في مسألة تبنّي النظريات المنصبَّة كلّها في تفسير عمليّة إنتاج الكلام، والمغالاة التي سجّلها على روّاده معاتِباً إيّاهم على التخلّي عن الاهتمام بتعليم اللّغة نظاماً وتأديةً؛ ک تحليل الخطاب ونظريّة أفعال الكلام . التي سيأتي الحديث عنها أدناه . وما انبثق عن التداوليّة وعن نظريّة التلفّظ والتفسيرات التي غالِباً ما تصطحب بها علوم اللِّسان التي تتّخِذ من السياق والمقام مسوّغات الدراسة اللِّسانيّة: والحال إنّها حادت كلّها عن الاهتمام بقضايا التّحويل الذي لا يمكن ضبطه واستيعابه مع التخلّي عن دراسة الحالة الأصليّة التي انبثقت عنها الحالة المحوَّلة؛ فالتحويل يُعدّ عِنده عصب تعليم اللّغات (عبد الرحمن الحاج صالح، 2009). ومثل هذا التحامل الذي تُتفهَّم أسبابُه في اللِّقاءات المحفليّة، لا يُنقِص من دلالة الخطاب وقيمته في تلقين المَلَكة التَّواصليّة **(Compétence communicative) (Jacques Lerot, 2000, p.13)**.

فلنطرح هذين السؤالين: ما بال المصطلحات التي رافقت تحليل الخطاب الذي كلّما ازدادت منظوراته تزداد تلك المصطلحات، على غرار: المعطى التصويري، تيمات، الإدراك الحسي (**Joseph Courtes, 1991, p.165-167**) ؟ وأين هذا السيل المتدفّق مِن تحذيرات كلٍّ مِن عبد الرحمن صالح وكيليولي السابقة ؟ قد يُردّ على السؤالين بالقول: تمّ نقل المصطلحات من حيّز الانغلاق إلى حيّز الانفتاح ! لكن ماذا يعني هذا الكلام ؟ المصطلح أكثر انفتاحاً على تعدّد المفاهيم. وهذا الصنيع لا يتنافى مع ما قد يبدو أنّه تصرّفٌ نقيضٌ لما سلكه أوزوالد ديكرو (**Oswald Ducrot**) في جسّ نبض الواقع اللّساني المتواجد إلى حين تسمية القاموس الذي تعاون مرّةً بتمييز مشاركة تودوروف (**Oswald Ducrot & Tzvetan Todorov, 1972**) ومرّةً أخرى بمعيّة جان ماري سشايفر (أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، القاموس المَوسوعيّ الجديد لعلوم اللّسان، 2007) . أو تعاونوا . في إنجازه بغرض رصد المادّة اللّسانيّة، بـ القاموس المَوسوعيّ (الجديد) لعلوم اللّسان؛ حيث . كما يلاحَظ . ورَدَ مصطلحُ علوم اللّسان بصيغة الجمع واتّخذه القاموس (الموسوعي) بكلّ جدارة مرّةً أخرى منذ الصفحة الواجِهة. ويتولّى مقدّم القاموس بتفسير خلوّ تصرّفهم من أيّ تناقض . وهو تفسير لا يرقى على كلٍّ، إلى غاية الانسجام الكلّي . بقوله: « وإذا كانت كلمة اللّسان إذن مأخوذة هنا بالمعنى الضيق، فإنّ تعدديّة العلوم تسجّل، على العكس من ذلك، رغبةً بالانفتاح هي آنية أكثر من أيّ وقتٍ مضى. ونحن لم نشأ في أيّ وقتٍ من الأوقات، أن نفصل دراسة اللّغة عن دراسة إنتاجها . ويجب أن يفهم من هذا في الوقت نفسه عمل اللّسان (ومن هنا يأتي المكان المعطى للتعبير، وللأعمال اللّسانيّة » (**Oswald Ducrot & Tzvetan Todorov, Op.cit**). فنجد هنا تحديداً صريحاً للأسباب التي حملت المعجميين المصطلحيين على اعتماد رصدٍ قام بتفريع اللّسانيات إلى علوم، وهي ما يمكن جمعُه في أمريْن: عمل اللّغة وإنتاجها.

أمّا صنيعَ جان ديبوا ومَن شارك معه مِن الخبراء في إصدار قاموس اللِّسانيات وعلوم اللِّسان، حينما عيَّن قاموسَه بوصفه شيئاً يتعلّق باللِّسانيات من جهة وبعلوم اللِّسان مِن جهةٍ أخرى، واضِعاً التمييز صريحاً منذ واجهة الكتاب؛ فيمكن تفسيرُه بـ (المجموعة الثّانية مِن المشكِلات التي لا بدّ أن يطرحها كلّ قاموس يُعنى باللِّسانيات وبعلوم اللِّسان) والتي أدلى بها في مقدِّمته القائلة بضرورة مراعاة مدى امتداد اللِّسانيات إلى علومٍ حصرها في علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والفيزيولوجيا والمنطق والرياضيات (**J. Dubois & alii, 1999, p.V**). وهذا من شأنه أن يفتح المجال لأكثر من علومٍ تعنى باللّغة وفي رحاب اللِّسانيات: فلا شكّ أنّ هذا من شأنه أن يكرّس المصطلحات بل المفاهيم المنقولة (مِن تلك العلوم) نحو اللِّسانيات وهو ما يسمّى بـ (**Termes-concepts transférés**). وخير دليل يشهد على أنّ الطّابع التّعدّدي هو الباعث الجوهري على فرض زاوية علوم اللِّسان هو تصنيف المصطلحيات عينها ضمن هذه الأخيرة لا لسببٍ إلاّ للطابع التّعدّدي الذي يتحلّى به موضوعها المركزي (المصطلح) (**Marcel Diri-Kidiri, Juin 2000, p.28**.) . وهو ما اقتضى من المصطلحيات أن تمتزج باللِّسانيات وتتفاوت عنها في آنٍ معاً. وحينما يتحدّث أحمد التوكّل عن علوم اللِّسان (**Les « sciences « du langage** »)، يأخذ باب المعنى فيقسِّمه إلى ما قال فيه كلٌّ من خطاب اللّسانيين، وخطاب الأصوليين (**Fondamentalistes**) وخطاب المفسِّرين (**Exégètes**) وخطاب المناطِقة (**Logiciens**) كما يسميهم (**Ahmed Moutaouakil, 1982, p.26**).

يمكن تناول موضوع علاقة " علوم اللسان واللسانيات النفسية " بطرح عدّة إشكالياتٍ ومِن زوايا مختلفة. والإشكاليّة التي استأثرنا بها تتمثّل في معالجة أمريْن اثنين متناقضين في الظاهر ومتلازمين في الباطن؛ وهما التجاذبات والتنافرات وهنا صميم الإشكالية والمفارقة. وقد كان لنا فرصة الاطّلاع على هذه

الزاوية في كتاب رومان ياكوبسون الاتجاهات الأساسية في علم اللغة (رومان ياكوبسن، 2002). لهذا ترونا ههنا نعمد إلى عرض موقِفه من المسألة كما جاء في العنوان الفرعي بمعيّة ما ألجأَنا إليه البحث مِن ذكر أهمّ الباحثين الذين استدعتهم الإشكالية ذاتُها ومسّتهم القضيّة ولامسوها من نفس الزاوية. ونشير إلى أنّ أحسن تكريسٍ لمنظور ياكوبسون تكريساً عملياً قبل أن يقف عنده بالتأمل الصادر عن النظرة الابستيمولوجية في كتابه القيّم والسالف الذكر، هو الذي صاغه في الوظائف الستّ للّغة (**Roman Jakobson, 0p. cit., p.213**) والمتمثِّل في كشفه عن أبعاد كلّ عنصرٍ من العناصِر اللّغوية التي استكملت ما ورد في دروس اللسانيات العامة لدي سوسير وأطلِق عليها لاحِقاً اسم دارة التواصل عند سوسير وخطاطة أو نموذج التواصل عند ياكوبسون بما ينمّ عن استيعاب ياكوبسون الجيّد لتلكم العلاقة.كما يوحي العنوان بوجود علاقة تفاعل بين المجاليْن، وفي ظلّ هذه العلاقة المؤسِّسة نتناول موقف رومان ياكوبسون، لأنه يمثل شخصه ومساره العلمي والمهني تقاطع هذه المجالات الرحبة والوافدة من أفقٍ شتى.

2 لماذا علوم اللسان ؟

نتطرّق في هذا المقال إلى علوم اللسان . أو علوم اللسان إذا رغبنا في إرضاء بعض التوجّهات لدى بعض الأخصّائيين اللسانيّين وغير اللّسانيّين . أكثر من حديثنا عن اللسانيات فحسب. ولدينا ما يُفسِّر هذا الخيار غير المجاني: وهو كونلكلّ علم لغويٍّ ظروفه الخاصّةمن حيث النّشأة والتطوّر والتماس الذي يكون قد حصل بينه وبين علم النفس اللّغوي على مدى ذلك التطوّر، وله ما يتذرّع به من مسوّغات الاحتكاك بهذ الأخير أو الابتعاد عنه. كما يتواجد لدى كلّ علمٍ لغويٍّ وجهٌ معيّن يجعله يدخل في علاقة متميّزة مع علم النّفس اللغوي وكذلك مع غيره من الفروع المعرفيّة التي تشكّلت معها علاقات مامع التطور دائما.

فتحليل الخطاب مثلاً. يستمدّ من علم النفس اللغوي عناصر التحليل على قدر الحاجة الماسّة من حيث امتداد الخطاب نحو الفرد المستعمِل وما قد يحتوي حكماً تقييمياً، ويعبّر عن عاطِفة أو عن وجهة نظر. ما يصعب معه التبئير على العناصر المحايِثة. لأنّه يتضمّن جرعة معيّنة من الذاتية التي تزعم اللِّسانيات أنّها حريٌّ بها أن تستأصِلها من دائرة موضوعها. قد نقول ذلك بكلّ اختصار. ليس أكثر ولا أقلّ. بينما يورد علم النفس اللغوي من مصدر البلاغة أيضاً ما يدعِّم به تفسيره لبعض الاستعمالات اللغويّة العبقريّة بتحليل علاقة اللغة بالواقع . مرّة، وبالرجوع إلى نفسيّة القائل المستلهِمة والمتناصة مع لغة الغير. مِن حين لآخر.

ثمّ إنّ القيام بتتبّعٍ بسيطٍ لتطور النحو ومرحلة انعقاد الرابطة الوثقى بينه وبين علم النفس اللغوي، نجد أنّه حدث ذلك بصورة واضِحة عندما استحوذت فكرة إقامة نظريّة لغويّة عامة استنجدت بمكاسب النحو التي خلّفها على مدار عقودٍ من البحث والإثراء. وإن كان ذلك بادئ الأمر وفي ضوء النحو التّوليدي متوقّفاً على اللّغة الانجليزية أصبح بفعل الافتراض والتفكير الديكارتي المعزّز لدور الحدس أمراً قابل القياس على مستوى جميع اللغات في ضوء النحو التّوليدي دائماً الذي كان له تأثيرٌ بالغٌ في توجيه البحث النفسي اللغوي على الرغم من أنه يتّخذ من اللغة منطلق الدراسة. كما يرى جانكارون (**Jean Caron**) في كتابه القيّم (موجز في علم النفس اللغوي) (**Jean Caron, 1992**) . وكان على حساب توقعات الباحثين باحتفال هذا الأخير بأعمال كلٍّ من كيليولي(**Antoine Culioli**) وتينيار(**Tesnière**) اللذيْن ينطلقان من إنتاج الكلام للغة وليس العكس. ذلك أنّ الأوّل هو بمثابة تطبيق أنموذجٍ نظريٍّ بحت متكئ على عقيدة الملكة اللغويّة، التي تعكس انتظامات واطّرادات وقواعد عمل أنظمة (لغويّة) يُفرَض أن تكون مندمجة في المنتجات (الكلاميّة) الملموسة. يُنظَر نتيجةَ ذلك إلى اللّغة على أنّها نظامٌ مجرَّدٌ يتكوّن من مجموع الأدلّة التي يمكن دراستها بانفرادٍ أو

متزامِنةً؛ تبعاً للنظريات، والتطورات، والجوانب الصوتيّة والفنولوجية، والصرفيّة، والمعجميّة، والتركيبيّة، والدلاليّة. بينما يؤكِّد الثاني على إمكانيّة انطواء الفرد على ما من شأنه أن يستتبع استعمالات لغويّة غير واردة مسبقاً. وهو الأنموذج الذي على الرغم من دنوّه الصريح من اهتمامات علم النفس اللغوي فهذا الأخير لم يلتمس خدماته إلاّ في الفترة المتأخِّرةوطالت مدّة تهميشه.

طبعاً لهذا التجاذب ما يبرّره وهو النجاح الذي تكلّل به النحو التوليدي في تفسيره لعمليّة اكتساب اللغة وهو وجهٌ بل مبحثٌ أثيرٌ ومأثورٌ في مجال علم النفس اللغوي علاوةً على قضايا تخص إنتاج الجمل اللغوية وإصدارها وكذا تلقيها وفهمها.

وفي هذا الإطار يمكن الاستشهاد بعلاقة متميّزة بين علم من العلوم اللغوية وهو المضغوط في مصطلح (اللِّسانيات الاجتماعيّة) ـ حسب إحدى الخيارات المتاحة والخاضِعة للنقاش طبعاً ودوماً. إذ هناك ما يقيم حجّة دنوّ علم النفس اللغوي من أعمال هذه اللِّسانيات الموسومة بالاجتماعيّة (أو علم الاجتماع اللغوي إذا رضينا بالاختيار الذي كرَّسه أستاذنا الفاضل الدكتور محمد يحياتن ـ عليه رحمة الله ورضوانه)، بمفهومها الواسِع كقسيمٍ تابعٍ للِّسانيات ومَعنيٍّ بالعلاقات الرابِطة بين اللّغات والمتحدِّثين بها. لكن، في هذه الحالة بالذات، وهذا شاهِدٌ على صعوبة ابستيمولجية، يأتي تقديم مصطلح « التنوّعات » [**variété**] لتعيين الاستعمالات المنتظمة للبدائل (الجغرافيّة والاجتماعيّة وغيرها) المتعلِّقة بعرفٍ لغويٍّ ما [**idiome**]. وكذلك يحسن في هذا المقام أن يُحتفَظ بتعريف فيشمان الذي يرى أنّ اللِّسانيات الاجتماعيّة هي دراسة خاصيات التنوّعات اللّغويّة، وخاصيات وظائفها، وخاصيات المتحدِّثين بها، آخِذةً في الحسبان مدى تبادل هذه العوامل الثلاثة المستمرّ للتأثير والتأثّر، ومدى تغيّرها في نفسها وتغيير بعضها البعض داخل مجموعة لغويّة معيّنة.

وكذلك أصبح الكلُّ يعي فضل اللسانيات على كلٍّ من التعليميات وقبلها البيداغوجيا التي تتصارع هي الأخرى مع ما يُدعى علوم التربية (لعلّ أحد المداخلين سيعالج ذلك في هذا اليوم الدراسي). فالعلاقة المتبادلة ما بين اللِّسانيات والبيداغوجيا قد نوّه بها عنوانٌ لكتاب ألّفته(**Denis Sadek-Khalil**) وهو **Apport de la linguistique à la pédagogie: et apport de la pédagogie à la linguistique** أي (فضل اللسانيات على البيداغوجيا وقضل البيداخوجيا على اللسانيات): حيث تعزّز اختيارها بالاستناد إلى من اختبر هذه العلاقة طيلة عمله التعليمي والبحثي وهو غوستاف غيوم (**Gustave Guillaume**)، فترى حينئذ أنه لا يمكن مثلاً القيام بمعالجة اضطرابات اللغة بدون الحصول على وصفٍ دقيق للغة التي هي موضوع الاضطرابات والأمراض الكلامية أو التأخر في اكتساب اللغة، وذلك ضمن في الفصل الأول **(Quelques principes généraux de la rééducation du langage) (Denis Sadek-Khalil, 1997, p.02-12)** . فهل يمكن أن نتحدّث عن البيداغوجيا اللغوية ما قد يُترجم إلى العربية خطأ بعلم التربية اللغوي أو بالاختصار التربية اللغوية وهو قد يشوّؤه ما كانت تقصده من تلكم العلاقة التي باركت فيها كونها عالجتها أحسن معالجة إذا لم تتقوقع في زاوية واحدة تنظر منها بل فضَّلت الحركة من زاوية إلى أخرى تتنقّل في جسر بين ضفّتي اللسانيات والبداغوجيا تمما كما سنر مع علم النفس اللغوي واللسانيات وكما جاء عند جان كارون.

ويمكن ترجمة هذه الإشكاليّة أيضاً تحت تسميات (التعايش والصراع)، وهما المصطلحان اللّذان وظّفهما رومان ياكوبسون في كتابة (الاتجاهات)، ذلك أنّ علوم اللغة التي كانت ترضى بأن تكون اللّغة موضوعاً قسيماً بين عدة فروع لغوية كلٌّ منها يلتفت إلى المجال الذي يهمّ الجانب اللغوي الذي يُعهد إليه ذلك الموضوع، التداولية = أفعال الكلام في الفلسفة التحليلية، الأسلوبية الشكلانية الأدبية. وفكرة التعايش قد طبّها على تعايش التنوعات اللغوية ضمن ذات

السجل اللغوي، حيث بحث كثيراً في التعايش بين الشرق والغرب. طبعاً كلّ هذا سنرجع إليه فيما يأتي مع التجاذبات والتنافرات.

3 التجاذبات

فبالإضافة إلى ما ورد سابِقاً في تعليل استخدام علوم اللغة، يمكن أن نعمد إلى قراءة العلاقة من ناحية التجاذبات، حيث نشير. أولاً. إلى أسباب صيغة الجمع؛ ذلك أنّها متنوّعة زماناً ومكانا وهي بين مدّ جزر، وكذلك التنافرات التي تحدث لظروفٍ ولأزماتٍ كما جاء في الملخَّص.

نبدأ من العلاقة المتعارَف عليها في مجال اللسانيات التطبيقية. وهي أهم ما يُقيم شرعية التجاذب الحادث حتماً في أوضح صوره. وكذلك هي التي قد تعيدنا إلى تبرير تسمية بعض الباحثين المجال الذي يَعنينا هنا وهو (علم النفس اللغوي) باللسانيات النفسية أو علم اللغة النفسي أو حتى علم اللسان النفسي، متخذين اللسانيات أو علم اللغة منطلقاً أو الأصل المنعوت بنعت (النفسي) في هذا المرَكَّب النعتي السليم لغويّاً (ولكن لا ندري هل هو سليمٌ مفهوميّاً ؟)، وهو مذهب أخطر ما فيه. في الحقيقة. أنّه يقلِّب الأمورَ رأساً على عقب وبجرأة فاحشة دون المرور من التبرير.

1.3 في ظلِّ اللِّسانيات التّطبيقيّة

والعلاقة المنوَّه بها سالفاً هي الماثلة في اعتبار هذه الأخيرة (أي اللسانيات التطبيقة)، وبالتالي علوم اللغة) . أوّلاً . كخادِمة مجالاتٍ معرفيّة أخرى، مثل علم النفس والبيداغوجيا، وعلم الاجتماع وحتى الفيزيولوجيا وغيرها من فروع العلوم البيولوجية بل والدّقيقة كذلك ..الخ. إذ يتمّ انتقال عبرَ اللّسانيات التطبيقيّة . وفي ضوء تشعُّب المشارب المعرفيّة . معطياتٌ لسانيّة لابدَّ أنّها اقترنت بمعطيات سيكولوجيّة التعلّم وتناسبت مع طرائق التعليم الخاصّة (**D. Girard, Op.cit., p.23-24**)، وفي ذات الوقت كانت اللّسانيات النظريّة تسخِّر تلك

المجالات في إطار انشغالها التطبيقيّ، مما اقتضى لهذا التوجّه هذه التسمية (اللّسانيات التطبيقيّة) باعتبارها جامعة للمواد العلميّة التي تغرف من اللسانيات الزاد النظري والمنهجي وتقوم بتكييفه لمشكلاتها الطارئة. ولتوضيح هذا كلّه يجوز النظر إليها من خلال هذه زوايا: فما يجري في العُرف هو أن يُقابَل بين ما هو نظريّ خالص وما هو تطبيقيّ إجرائيّ، لكن ليس هناك اتّفاقٌ حول مفهوم التطبيق. فيبدو لنا أنّ المادّة التطبيقيّة تختصّ بتداخل ثلاث خصائص: تستجيب المادّة التطبيقيّة لمتطلّبات اجتماعيّة (حاجات جليّة: الترويض على التكلّم الخاص بالمصابين بأمراض الكلام، التعليميّة والتربية الخاصّتين بلغة الأمّ، صناعة المعاجم). تجمع ما بين مفاهيم ومناهج مختارة ضمن مجالات علميّة وتقنية مختلفة حيث تستعير منها ما تفتقر إليه من تلك المفاهيم والمناهج وتمنح لها أفكارًا ووجهات نظر هي من مكتسباتها. تقوم بحلّ مشكلاتٍ طارئة وفق نتائجٍ هي ملكٌ لها، إلى جانب وصف حدودها وتفسيرها وتعليلها.

فهكذا يمكن في ظلّ التجاذب هذا الواعي ـ أو غير الواعي ـ أن تُقرأ العلاقة قراءة أخرى بحيث يُصبح علم النّفس اللّغوي هو ما يستدعي تدخّل علوم اللّغة كما يستدعيها من العصبيات، ومن علم النفس الإدراكي المعرفي، وكذا العصبيات الحيوية، الخ. إن الاستعداد الذي ينطوي عليه البشر للتواصل يستدعي تمكين عدة كفاءات بعضها نفسية عصبية وأخرى لغوية. وهناك مَن اهتمّ برصد إسهامات علم النّفس اللغوي في تطوير علوم اللّغة هذه المرّة (**Daniel Dubois, 1989**). ووقوع علم النفس اللغوي بين فكيْ الشموليّة العصبية والفردية الجماعية هو بالضبط ما يقرّب بينه وبين اللسانيات التي قالت بوجود خصائص عامّة ـ على غرار تشومسكي ـ والخصائص الفرديّة والمنفرِدة. ففي كلا الأمرين لعلم النفس اللغوي كلمتُه. وكذلك يمكِن أن تُقتسَم علاقة التجاذب والتنافر في آنٍ بين المجالين، في ظل اهتمام العلوم اللغوية باللغة وعلم النفس اللغوي بالتواصل،

ولكن اهتمام هذا الأخير بالتواصل من وجهة نظر السلوكات الفردية والجماعية الذي ينشأ عنه العرف اللغوي.

2.3 دارة التبليغ وخطاطة التواصل

1.2.3 اختلاف المقاصد

يمكن جذب الانتباه إلى أنّ الرجلين (دي سوسير وياكوبسون) في رسمهما للمخططات التبليغية التواصلية اللغوية يختلفان في الأهداف والمقاصِد، فبينما كان دي سوسير يرمي إلى عزل أهم المستويات اللّغويّة اللِّسانية كالمستوى الصوتي والصرفي والمعجمي وصلاحيات كلِّ مجال وحظّه من المستويات المذكورة نجد روما ياكوبسون قد عرّض العناصِر للتوسّع. فصار ما يُدعى اليومَ نموذج ياكوبسون التواصلي التفاعلي.

2.2.3 دارة التبليغ السّوسيرية

إنّ دارة التواصل كما بيّنها دي سوسير أقحمت العنصر البيولوجي، المرسِل الذي يتكلم ـ أولاً ـ ما سمعه سابقاً (ثمّ يستمع)، المتلقي الذي (يستمع) ويسمع ـ أوّلاً ـ ما يتكلم المرسِل. فهي مسارات بيولوجية، ولكن يبدو أنّ اللغات في النزوع إلى التنوع والاختلاف، وبناء على هذا المعطى طوّر ياكوبسون دارة دي سرسير إلى ما أسماه خطاطة الوظائف الستّ. بينما يهمذ دارة سوسير في التبليغ وتبادل الفكار وتحديد مستويات الدراسة اللسانيّة تضطلع خطاطة ياكوبسون بمهمّة.

3.2.3 نموذج ياكوبسون التواصلي التفاعلي

فمن هذه الناحية تظلّ وظيفة التبليغ أساسيّة إلاّ أنّها معتبِرة لتنوّع وظائف اللّغة. ولتقديم فكرة عن هذه الأخيرة رأى رومان ياكوبسون ضرورة السّبق بتبيان العناصر المكوّنة لكلّ إجراء لغويّ ولكلّ فعل تبليغيّ شفويّ. وهي المتمثّلة في الشّرح الآتي:

يبثّ المرسل خطابا يتلقّاه المتلقّي، ولكي يصبح ذلك الخطاب إجرائيّا حقّا لا بدّ أن يحظى بسياق يحيل إليه، ويقول عنه ر. ياكوبسون: « هو ما يطلق عليه " المرجع " وذلك في مصطلحيّة مبهمة شيئا ما » (**R. Jakobson, 1963, p.213**). و تكمن أهميّة السّياق في كونه أمرا من شأن المتلقّي أن يمسك به، وهو إمّا أن يكون شفويّا أو كفيلا بأن يُشافه عنه. ثمّ يكتسب الخطاب وضعا مشتركا في كليّته أو على الأقلّ في أجزائه بين المرسل والمتلقّي (أو بتعبير آخر، بين منمّط (عبد السّلام المسدّي، 1984، ص.224) ومفكّك ((عبد السّلام المسدّي، نفسه، ص.230) ذلك الخطاب). وأخيرا يكتسب الخطاب اتّصالا أو قناة تضمن الحضور النّفسيّ والتّجاوب بين المرسل والمتلقّي، هو ذلك الاتّصال الّذي يسمح لهم بالاحتفاظ على عمليّة التّيليغ. يمكن تمثيل هذه العناصر الّتي لا بدّ أن تتواجد في عمليّة التّبليغ في المرسومة الآتية (**Roman Jakobson, 0p. cit., p.214**):

		السّياق		
المرسل	.....	الخطاب	.....	المتلقّي
		الاتّصال		
		الوضع		

فيتولّد عن كلّ واحد من هذه العناصر السّتة وظيفة لغويّة متميّزة لا يتّسع المقام لعرضها هنا. لكن يبقى التّحكّم في قوانين الخطاب وفي أجناسه لهو من المكوّنات الأساسيّة لملكتنا التّواصليّة، أي قدرتنا على خلق الملفوظات وتأويلها بصورة تنسجم والحالات العديدة المحيطة بوجودنا. لا تخضع هذه القدرة لتعلّم بيّنٍ، إنّما نتلقّاها عن طريق تمثّلها، في الوقت نفسه الّذي نُلقَّن فيه أنواعًا من السّلوكات في الوسط الاجتماعيّ.

4.2.3 قراءة في ضوء علم النفس اللغوي

علم النفس اللغوي هو ذلك القسم العلمي والعملي من علم النفس الذي يدرس دراسة علمية العلاقة بين البنى اللغوية والعمليات النفسية التي تتدخّل في انتاج الكلام اللغوي وفهم المعاني المتضمّنة في المقاطع الجمل اللغوية من الكلمات والمقاطع الصوتية والتسلسلات. يمكن أن نتساءل عن أسباب إقبال علماء النّفس على تناول موضوع اللغة وعلومها والالتفاف حول الدّرس اللّساني بكلِّ أقطابه وفروعه. وأهم المحاور التي تستدعي الوقفة اللسانية النفسية، نذكر:

- التمثّلات الذهنيّة، دور اللغة في النماء الفكري، والتعبير
- وسم البشر من قبل اللغة (إحياء مقولة الإنسان ناطق)
- قاعدة لعلاج نفسي والتقابلات النفسانيّة

هذا، ويظلّ نموذج ياكوبسون التواصلي، يركّز على الوظيف المرجعية (نقل المعلومات حول االعم المحيط، ولكن يستدعى التمثّلات تالذهنية للواقع والتصوّرات النفسية والاجتماعية (الفكر واللغة) وكذلك التفاعلات التي تحدث بين المكتخاطبين في الوسط الاجتماعي الفلاني. التأثير على الغير وعلى الأفرات الوظيفة التعبيرية التأثيرية، بلا ترسم مواقف الناس تجاه اللغة وظيفة اللغة الواصفة حيث تصبح اللغة هي الكلام والخطاب والحوار، الكلمة معزولة لا معنى لها كما أورد أزوالد ديكرو، في كتابه: قلْ أم لا تقل. وقد نفهم الشيء الذي حمل ياكوبسون إلى العناية بعلم النفس الغوي هو تفسيره للتحولات اللغوية التي أسندها إلى محرِّكين هما، استقلالية النظام اللغوي والعوامل الفردية لأسباب نفسية واجتماعية. من هنا جاء تأثير ياكوبسون حتى في اللسانيات الاجتماعية، الذي لو نُعمل محرك البحث سيُقدم لنا اسمه على صفحات تغلب تلك صفحات لابوف أو غيره لأنه احتفل به في هذا المقام.

4 التنافرات

1.4 دواعي التنافر

1.1.4 بدواعي التصنيف: وتعود مشكلة تصنيف اللِّسانيات إلى الواجِهة وفي ضوء هذه العلاقة. كما حدث مع سوسير وغيره من قبله ومن بعده مع علاقة اللسانيات بالسيميولوجية وما هذا إلا لوفود عناصر تعريفيّة تصنيفيّة جديدة أهمها وأقدهما التواصل واعتبارات فردية واجتماعية وتاريخية وجغرافية بل اقتصادية وإعلامية ومعلوماتيبة وعصبية ومرضية الخ من الخصائص المحيطة. فهذا راستي يتساءل هل اللسانيات علم من العلوم النفسية المعرفية.

ومن المفارقات التي يجدر تسجيلها بدءاً في سياق تناولنا لمفهوم التنافرات الواقع بين المجالين، هي أن هذه الأخيرة أي التنافرات تحدث عن وعي وعن جهل وعن التجاهل الواعي. عن وعي قد يكون بسبب التعصب المبرَّر من الناحية المنهجية، او بالأحرى الغيرة على العلم، وهو ما حدا سوير حينما نادى باستبعاد الهم النفسي في الدراسة اللسانية للغة، هم منهجي أكثر منه مجر التخوّف من إقبال النفسانيين، والتضلضل الذي يُرفق ذلك، وقد سجّله جورج مونان بالنسبة لمقاربة الدرس اللِّساني أي المبتدئ الذي يتناول مباحث لسانية ويرغب في التكوُّن في المجال وينال حظّه من العلم الناشئ، فكأنما وهو في ذلك الطور يخشى على العلم وعلى المتفيقه أن يضعا معاً في لجج الترهات النفسية التي تعالج الفرد والتواصل في علاقته مع الأفراد، ..الخ. وهو من تناول من الخارج، وقد سمي هطا التوجّه الذي تجلّى فيه التنافر بالمحايثة اللغوية اللسانية، أي استبعاد العوامل والمظاهر غير اللغوية في الوصف الدراسة وصف اللغة ودراسة عملها، وهو ما ينفكّ يرجع تحت عناوين بحثيّة شتى، نظراً للمقام المخصص للغة الفردية وللكلام بالدرجة الأولةى، وكذا للغة لكونها تُفرض على الفرد، كذا اللسان البشري على أنه الملكة الكامنة ..الخ وكلها عناصر وجوانب لا يمكن لعلم النفس (اللغوي)

أن يقبع مكتوف الأيدي دون حراك تجاهها. وعن وعي وتجاهل في آن: ذلك أن الدليل هو خوض علماء النفس في كلِّ شيء ما عدا اللغة في ذاتها ولذاتها المبدأ المؤسِّس لفرادة موضوع اللسانيات.

2.1.4 بحجة تحديد التوجّهات الجديدة

يرى رومان ياكوبسون أنّ شعار محاربة النزعة النفسانية إنّما يقوم على بضعة أخطاء في الفهم. وقال وعندما لجأ اللسانيون المشايعون للظاهراتية إلى شعارات مناهضة للنزعة النفسية (رومان ياكوبسن، مرجع سابق، ص.24). ورومان ياكوبسون لا ينفكّ يقابل ما بين اللسانيين والنفسانيين، نلاحِظ ذلك في أقولٍ كما الآتي:« يمكن للمرء أن يلاحظ نقاط التماس والافتراق بين بحث فردنا ندي سوسير (1857 . 1913) وبحث كلاباريد (1873 . 1940) الذي أدرك أنّ " طريقة وجود أيّ عنصر تعتمد على بنية المجموع، وعلى القوانين التي تحكمه ". ويتذكّر المرء أيضاً المناقشات المثمرة بين تروبتسكوي (1890 . 1938) وكارل بوهلر (1879 . 1963)، والعناية الجدية التي بذلها لسانيو العالم لتطوير علم النفس الجشطالتي. وما يبدو أنّه سيظلّ ذا طابع تنويري هو تحذيرات الخبيريْن الأمريكيّيْن في العلاقة بين اللّغة والذهن وهما إدوارد سابير (1884 . 1939) ووُورف (1997 . 1941)، تلك التحذيرات الموجَّهة للجشطالتيين الذين قالوا إنّه بقدر تعلّق الأمر باللّغة يجب " إغفال المسألة " ما داموا " لا يملكون الوقت، ولا التدريب اللِّساني المطلوبيْن لاكتشاف خفايا هذا الحقل "، وما دامت أفكارُهم ومصطلحاتُهم الموروثة عن علم النفس المختبري القديم هي أفكارٌ ومصطلحاتٌ معيقة أكثر منها نافعة " (292). وبطريقة مشابهة، توقّع سابير. رغم أنّه كان واعياً بأنّه مِن المحتوم على اللِّسانيات أن تكون لها قيمة خاصّة بالنّسبة لعلم نفس الصورة [أو الشكل] . أقول إنّ سابير توقّع أن " الدّمج المثمر للسانيات بالدراسة النفسية إنّما بقع في المستقبل "؛ لأنّ حقلَ اللِّسانيات هو واحِدٌ مِن أعقد حقول

البحث بالنسبة لعلماء النفس (243). وأخيراً من المؤكَّد أنّ صلاتنا بما يسمّى بمدرسة براغ لعلم النفس، وبمؤسِّسها فون إهرنفلز (1959 ـ 1932) ـ وهو أوّل مَن اقترح مفهوم الجشطالت ـ تركت أثرَها على تقدّم حركة براغ اللِّسانية » الصورة أو الشكل هنا بمعنى الجشطالت ـ كما لاحظ المترجمان (رومان ياكوبسن، مرجع سابق، ص.25 ـ 26). ويستجلي الأمر على المستوى المصطلحي وما يمكن له أن يوقَع في تخليط جراء تداخل الصلاحيات.

ويوجد مراعاة لعنصر الزمن عند كلٍّ من سابير ودي سوسير، كأنّ الإثنين ينظر على المدى البعيد ولديهم مظرة شاملى إلى الموضوع وما ينمّ على اطلاع على علم النفس واللغة معاً، فالأول يرى ـ كما يورِد رومان ياكوبسون ـ أنّ علم النفس سيشهد عودة ويحتضنه اللِّسانيون في المستقبل، ورَدَ عن ياكبسون أنّ « سابير توقّع أن " الدّمج المثمر للسانيات بالدراسة النفسية إنّما يقع في المستقبل "؛ لأنّ حقلَ اللِّسانيات هو واحِدٌ مِن أعقد حقول البحث بالنسبة لعلماء النفس (243). وأخيراً من المؤكَّد أنّ صلاتنا بما يسمّى بمدرسة براغ لعلم النفس، وبمؤسِّسها فون إهرنفلز (1959 ـ 1932) ـ وهو أوّل مَن اقترح مفهوم الجشطالت ـ تركت أثرَها على تقدّم حركة براغ اللِّسانية » (رومان ياكوبسن، مرجع سابق، ص.26). وعلى الرغم من أنّ بلومفيلد كان الأب الروحي لذلك الاتجاه ولكنه لم يكن يشاركم في تلك الآلية التي لا تنطبع بالعوامل النفسية (رومان ياكوبسن، مرجع سابق، ص.26).

هذا وبظلّ رومان ياكوبسون أهمّ مَن شكَّل الواجِهة التي أطلَّ منها كلٌّ مِن كلود لفيس ستروس ولاكان من عوالم مختلفة نحو البنويّة الشكلانية منها وغيرها، أكثر مما كان عليه سوسير. يُقدَّم على أساس أنّه مؤسِّس الشكلانية البنويّة وبالتالي وريث دروس سوسير، ولكنه طوّر وجهاً آخر من القضيّة تحلّى بروحٍ نقديّة صارمة تجاه الدروس وانتقد الكثير من المفاهيم المتضمَّنة فيه،

(كالدليل اللغوي، والاعتباطية، الخطية، اللّغة، التزامنيّة الخ). والتزم الصمت حول بعضها كالقيمة ، ووضع مفهوماً لم يُطلقه سوسير أو سكت عنه، كمفهوم الوظيفة، ما جعل من نموذجه يقبع في طريق متواصل بين البنية والوظيفة، فهو نموذج ثنائي كما يغلب عليه في مجالا الصوتيات الوظيفية الملامح الثمانية التي وضعها في إطار نشاطه مندمجاً في حلَقة براغ. ويتأسّس مشروعه في خطّ الأصول والخلف، هو في حدّ ذاته يُشيد بعالِمٍ يشكِّل حلقة وصل بين الدرس اللساني والدرس النفسي، وهو بوهلر. إنه منبع، مع تروبتسكوي، للصوتيات الوظيفية، الأب الشرعي التي تشكل مصيراً جميلاً وفضلاً معتبراً لنظريّة النحو التوليدي.

خاتمة:

وخلاصة القول فالموقف الذي يُحتمل عدم التغاضي عنه في هذه العجالة الاستعراضية المبرّرة لصيغة الجمع (علوم اللغة)، وللتجاذبات والتنافرات المزعومة، هو إمكانيّة التخلّص من منطق التجاذب والتنافر، بحيث يُنظر إلى علم النفس اللغوي أنه يعنى ببنى هي ليست ذهنية خالصة ولا خارجية كاشفة بالمطلق (**Jean Caron, 1992, p.230**)، إذ تقف بين هذه وتلك، فهذا ما يؤصِّل الدرس النفسي اللغوي أو اللغوي النفسي، كفانا التلاعب بالألفاظ والاحتكام إلى قضايا التقديم والتأخير وإهمال أهم خاصيّة في اللغة ـ وهي التي ينبغي تحقيقها في لغة الاختصاص ـ وهي خاصية الاعتباطية اللغويّة، لأنّ التعليل دروبه وعرة يُبرِّ كلَّ خيارٍ ويفعِّل كلَّ نزوع ولو كان مصطنعاً لا أساسَ له في الواقع، إنّ الدرس الذي سنستفيده من معالجة ياكوبسون لأمر التجاذبات والتنافرات غير مقصودة لذاتها إنما نزل إلى الميدان وكان عملياً في معالجته حيث ذكر المؤسِّسين وبحث في رؤاهم وما طرحوه من المفاهيم، فغلّب خيار علم النفس اللغوي رجّح كفّة تبادل التأثير والتأثير بين اللسانيات وعلم النفس اللغوي، وكذا بين هذا الأخير وعلوم اللغة جمعاء قبل ذلك كلّه.

قائمة المراجع :

- **بالعربية:**

1. **الحاج صالح** (عبد الرحمن)، كيف يمكن أن نُحسِّن تعليم اللّغة العربيّة في المَدرسة ؟ ضمن تعليم اللّغات في الجزائر ووسائل ترقيّته (مؤتمر وطني نظَّمه المجمع الجزائري للّغة العربيّة برج الكيفان (الجزائر)، في 2، 3، 4 نوفمبر 2009)، اليوم الثالث (الجلسة التّاسِعة).

2. **ديكرو** (أوزوالد) وسشايفر (جان ماري)، القاموس المَوسوعيّ الجديد لعلوم اللّسان، ترجمة منذر عياشي، ط.2، بيروت: 2007، المركز الثّقافيّ العربيّ.

3. **محسب** (محيي الدين)، ضمن أسئلة اللّغة أسئلة اللِّسانيات (إعداد حافيظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي)، الدار العربيّة للعلوم ناشِرون (بيروت) . دار الأمان (الرباط) . منشورات الاختلاف (الجزائر)، 2009، (ص228 . 245).

4. **المسدّي** (عبد السّلام)، قاموس اللّسانيّات: عربي . فرنسي، فرنسي . عربي (مع مقدّمة في علم المصطلح)، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1984.

5. **المسعودي** (ليلى)، المصطلح الطبّي وتقاطُع المَجالات، اللِّسان العربي، ع.43، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 1997، (ص34 . 39).

6. **الفهري** (عبد القادر الفاسي)، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، الدار البيضاء: 1985، دار توبقال للنّشر.

7. **ياكوبسن** (رومان)، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم، ط.1، المركز الثقافي العربي، بيروت . الدار البضاء، 2002.

- **باللغة الفرنسية:**

8. **Benveniste** (Emile), Problèmes de linguistique générale, T.2, Ed. Gallimard, Paris, 1974.

9. **Bourdieu** (Pierre), Questions de sociologie, Ed. Cérès, Tunis, 1993.

10. **Caron** (Jean), Précis de psycholinguistique, 2d éd. PUF (Coll. Psychologue), Paris, 1992,
11. **Courtes** (Joseph), Analyse sémiotique du discours : de l'énoncé à l'énonciation, Ed. Hachette, Paris, 1991.
12. **Culioli** (Antoine), Pour une linguistique de l'énonciation, T.1, Ed. Ophrys, 1990, p.10.
13. **Diri-Kidiri** (Marcel), Une approche culturelle de la terminologie, Terminologies nouvelles, n° 21, Rifal, Juin 2000, (p.27-31).
14. **Dubois** (Daniel), Contributions de la psychologie aux sciences du langage, histoire épistémologie langage, 1989.
15. **Dubois** (Jean) & alii, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Librairie Larousse-Bordas, Paris, 1999.

16. **Ducrot** (Oswald) & **Todorov** (Tzvetan), Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed. Seuil, Paris, 1972.

17. **Galisson** (Robert), Regards croisés sur l'usage des technologies pour l'éducation : La disciplinarité (partie 1), Revue ELA (Revue de didactologie des langues-cultures et de lexiculturologie), n° 134, Ed. Klincksieck-Didier-érudition, Paris, (p.137-150).
18. **Girard** (Denis), Linguistique appliquée et didactique des langues, Ed. Armand Colin, Paris, 1972.
19. **Jakobson** (Roman), Essais de linguistique générale : Les Fondations du langage, T.1, Trad. de l'Anglais par Nicolas Ruwet, Coll. Arguments, Ed. Minuit, Paris, 1963, p.213.
20. Lerot (Jacques), La sémantique du discours : essai de clarification terminologique, in Des termes et des choses, Centre de Terminologie de Bruxelles – Institut Marie Haps, Ed. La Maison du Dictionnaire, Paris, 2000, (p.13-42).
21. **Macnamee** (Térence), La terminologie de la neurolinguistique : perspectives diachroniques, Meta, vol. 29, n°

1, Département de linguistique et de traduction, Université de Montréal, Ed. Les Presses de l'Université de Montréal, Québec, 1984, (p.91-98).

22. **Maingueneau** (Dominique), Aborder la linguistique, Coll. MEMO, Ed. Seuil, Paris, 1996.

23. **Moutaouakil** (Ahmed), Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe, Ed. Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, 1982.

24. **Rastier** (François), Sémantique et recherches cognitive, Ed. PUF, Paris, 1991.

25. Jacques Lerot, La sémantique du discours : essai de clarification terminologique, in Des termes et des choses, (p.13-42), p.13.

26. **Sadek-Khalil** (Denis), Apport de la linguistique à la pédagogie: et apport de la pédagogie à la linguistique, Ed. du Papyrus, 1997.